CEDEJ

سيمينار الإثنين بالسيداچ

الصامتون و المُسكَتون: قراءة في رواية "ست ماري روز"

تقدمه **ندى الشبراوي**
٨ ديسمبر ٢٠٢٥ ـ الخامسة مساءً
٢٣ ش جمال الدين ابو الحاسن ـ جاردن سيتي

تُعدّ إيتيل عدنان—الكاتبة والرسّامة اللبنانية-الأمريكية—من أبرز الأصوات التي كتبت عن الحرب اللبنانية من منظور إنساني وشخصي في آن. وقد كتبت روايتها ستّ ماري روز (1978)بالأصل بالفرنسية، قبل أن تُترجَم لاحقًا إلى الإنجليزية والعربية، وهو ما يمنح النص موقعًا لغويًا وثقافيًا مركّبًا. في هذه الرواية، تقدّم عدنان سردًا مكثّفًا للحرب، لكنها في الوقت نفسه تفتح مساحة للتساؤل حول من يُسمَح له بأن يتكلّم، ومن يُدفَع إلى الصمت داخل لحظةٍ مشتعلة سياسيًا وطائفيًا.

تبحث هذه المداخلة في مفهوم الإعاقة داخل الرواية، وبشكل خاص في الدور الذي تؤديه مجموعة الأطفال الصمّ والبكم. ورغم أنّ النقد السابق انشغل غالبًا بقضايا الجندر والطائفية وما بعد الاستعمار، تقترح هذه القراءة أنّ عدنان تعيد تعريف معنى "الصامت "و"المقموع"، وتقدّم رؤية تُزعزع مركزية الكلام والنطق باعتبارهما الشرط الوحيد للفعل أو المقاومة.

تنقسم الرواية إلى زمنين: الأوّل يكشف الطبقات الاجتماعية والتوترات الطائفية في لبنان قبل الحرب، والثاني ينقل القارئ إلى بيروت الممزّقة على خطوط تماس جديدة: شرق وغرب، مسلم ومسيحي، لبناني وفلسطيني. في هذا التشظّي، تتعدّد

الأصوات السردية التي تتكلّم جميعها بصيغة "أنا—"الميليشيا، الكاهن، الراوية—باستثناء الأطفال الصمّ والبكم الذين يظهرون بصيغة "نحن"، فيشكّلون جوقة جماعية وسط ضجيج من يتكلّمون.

ترى هذه المداخلة أنّ هذا الاختلاف السردي ليس مجرد تقنية أدبية، بل يحمل دلالة سياسية ومعرفية مهمة: فالجماعة التي تمتلك القدرة الحقيقية على الشهادة ليست تلك التي تملك السلاح أو الخطاب، بل "الصامتون "الذين يرون كل شيء ولا يُسمع لهم. اعتماد الأطفال على قراءة الشفاه، وإحساسهم بالحرب عبر الجسد لا عبر السمع، يمنحهم موقعًا فريدًا للشهادة يتجاوز الشهود التقليديين. وهنا تبرز المفارقة المعروفة في سؤال: "هل يستطيع التابع أن يتكلّم؟—"فالقضية ليست في القدرة على الكلام، بل في الاستعداد لسماع هذا الكلام واعتباره صوتًا ذا قيمة.

تستعين المداخلة بأعمال لينارد ديفِس لفهم الإعاقة بوصفها بناءً اجتماعيًا يتشكّل حول فكرة "الطبيعي"، وبأبحاث بادِن وهامفريز التي تنظر إلى الصمّ كجماعة لغوية وثقافية لها طرائقها الخاصة في إدراك العالم. ومن خلال هذا الإطار، يتضح أنّ عدنان لا تقدّم الأطفال الصمّ والبكم كصورة جاهزة أو كضحايا على الهامش، بل تجعلهم مركزًا أخلاقيًا وفكريًا داخل الرواية. فصمتهم ليس نقصًا، بل شكلٌ آخر من الإدراك—تلك "لحظات الصمم "التي تُظهر ما يغيب عن السرد الطائفي وعن الروايات المهيمنة للحرب.

تخلص هذه المداخلة إلى أنّ قراءة ستّ ماري روز من منظور الإعاقة تكشف علاقة أكثر تعقيدًا بين الحرب، والشهادة، والهويّة. وهي قراءة تُظهر أنّ عدنان لا تكتفي بتوثيق الحرب، بل تعيد طرح سؤال أساسي: من هو الشعب؟ من يحقّ له أن يروي حكايته؟ ومن يُترَك صامتًا—ليس لأن صوته غير موجود، بل لأن أحدًا لا يريد أن يسمعه؟

سيرة ذاتية – ندى الشبراوي

ندى الشبراوي باحثة وأكاديمية متخصّصة في الدراسات الفرانكوفونية، ومرشحة دكتوراه وزميلة Harriott في جامعة كونيتيكت بالولايات المتحدة. حصلت على ليسانس الحقوق من جامعة المنصورة، ثم انتقلت إلى الحقل الأدبي لتحصل على ماجستير في الأدب الفرنسي من الجامعة نفسها التي تتابع فيها دراساتها العليا.

يركز مشروعها البحثي على الأدب الفرانكوفوني بوصفه فضاءً للكشف عن تحوّلات الهوية والهامش، مع اهتمام خاص بعلاقة اللغة بالسلطة في السياقات ما بعد الكولونيالية. ويعمل بحثها الحالي على تحليل رمزية المكان والمساحة في الأدب والسينما الفرانكوعربي، وكيف تُستخدم هذه الفضاءات في تمثيل الهوية المهمّشة وإعادة تخيّل الذات والعالم.

إلى جانب عملها الأكاديمي، تعمل ندى في الترجمة الأدبية من العربية إلى الإنجليزية وصناعة المحتوى وكتابة الأغاني.